السلطات المناهضة لخطاب الاستنارة

سهير أحمد عبد الحميد حسين (*)

الملخص

لقد ظهرا بوذا وسقراط في لحظة كان الظلام فيها قد بلغ أحلك درجاته، فكان لابد ان يبدأ عندها منحنى السقوط. لكن يخطئ من يظن أن طريق حملة مشاعل النور كان - على مدى فترات التاريخ المختلفة - ممهدًا مفروشًا بأكاليل الغار. فكم تعرض هؤلاء لتاريخ طويل من المقاومة والرفض إن لم نقل لتاريخ طويل من التعذيب والتنكيل. تاريخ من الإيذاء النفسي والجسدي، والتضييق الاجتماعي والاقتصادي. وقد تنوعت صور الإيذاء والتعذيب التي لاقاها رسل التنوير عبر العصور: بدءً بالإتهام بالجنون، أو الرمي بأن به مس من الشيطان أو طائف من الجان، أو أنه به داء من مرض نفسي وهذيان، أو لديه حب الزعامة والشهرة، مرورا بإجباره على الهجرة وترك بلده إلي بلدة اخرى عسى أن يجد فيها من يناصره، وانتهاء بتقديمه للمحاكمة ومعاقبته بالسجن أو الحرق أو الموت .

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [خطاب الاستنارة بين بوذا وسقراط]، وتحت إشراف أ.د. مصطفى حسن النشار - كلية الآداب - جامعة القاهرة & أ.د. محمود السيد مراد – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

Abstract

They appeared at a moment when the darkness had reached its darkest, at which point the curve of the fall had to begin. But those who think that the road to the torchlight campaign was - over the different periods of history - paved with laurel wreaths, would be mistaken. How many of these people have been subjected to a long history of resistance and rejection, if not to say a long history of torture and abuse. A history of psychological and physical abuse, and social and economic distress. The forms of abuse and torture suffered by the messengers of enlightenment throughout the ages varied: starting with the accusation of insanity, or accusations that he was possessed by Satan or a cult of the jinn, or that he had a mental illness and delirium, or he had a love for leadership and fame, passing through forcing him to emigrate and leave his country to me Another town in which he may find someone to support him, ending with his being brought to trial and punished with imprisonment, arson, or death .

المقدمة:

كم كان مهولا حجم المعاناة والقهر الذي تعرض له بوذا وسقراط، وكم كانت خارقة كذلك قدرتهم على التحمل والصبر في سبيل نشر النور على المحيطين بهم. نوع فريد من الاحتمال والمجاهدة جعل سقراط يقبل الموت راضيا بشرب السم على أن يتنازل عن رسالته التنويرية في سبيل انقاذ معاصريه مما يرفلون به من جهل وادعاء كاذب، وجعل بوذا يهجر حياة الرغد والقصور ويعاني من آلام الجوع والحرمان في البراري والقفار في سبيل بلوغ طريق الاستنارة. ومن ثم جاء الاعجاب بقدرتهما على التحمل والمجاهدة ربما اكبر من الإعجاب برسالتهما الحضارية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على السلطات المناهضة التي واجهت بوذا وسقراط في خطابهما للاستنارة، وحجم المعاناة والقهر اللذان تعرضا إليهما، وشجاعتهما في مواجهة كل الصعوبات التي قابلتهما من قبل الخاصة والعامة، ومن هنا يمكن صياغة هذه الأهداف في عدة تساؤلات على النحو التالي:-

١- ما نوعية السلطات المناهضة التي أثرت على فلسفتي بوذا وسقراط وكيف تصدا لها؟.

٢- هل المجتمع ككل كان موضع هجوم لظهورهما، أم أنهما وجدا ترحابًا من البعض؟ وهل نجح بوذا وسقراط في التصدي لهذا الهجوم ؟. ومن أجل الرد على هذه الأسئلة، قُسمت الدراسة إلى ثلاثة أجزاء: **أولاً : - موقف البراهمة من خطاب بوذا**

١- سلطة البراهمة والحقيقة المطلقة

٢- معارضة طقوس الكهنة

ثانياً :- موقف الملوك والرأي العام من خطاب بوذا

١- سلطة الملوك

٢- سلطة الرأي العام

ثالثاً : - موقف المجتمع الأثيني من خطاب سقراط

١- هجوم قادة الفكر (السوفسطائيون)

٢- سقراط وهجوم الشعراء

٣- هجوم القادة العسكرين (الجيش)

٤- هجوم الرأي العام التابع (الجمهور)

أولًا: موقف البراهمة من خطاب الاستنارة

جاء خطاب بوذا التنويري رافضا لتجاوزات البراهمة وتسلطهم، بل ويحمل تهديدا قويا لوجودهم أصلا، فكان من المحتم أن يقع الصدام العنيف بينهما، ونلاحظ ذلك على هذا النحو.

١- سلطة البراهمة والحقيقة المطلقة

كانت البراهمة أولى السلطات التي ناهضت خطاب بوذا وحاربته حربا شعواء لأنه يرفض سلطتهم المطلقة، ويعمل على إضعاف هيبتهم ومكانتهم، ويرفض ظلمهم وتسلطهم، فقد ناهضهم في قوانينهم الدينية فكان من المحتم إذن أن يناصبوه هم العداء. وهكذا دائما ما تكون أشد القوى معارضة لخطاب الاستنارة هي صاحبة أكبر المكاسب من سيادة الجهل وانتشار التخلف في المجتمع .

لقد كانت من ضمن تعاليم كهنة البراهمة للناس قولهم بأن الحقيقة المطلقة مقتصرة على الإله "براهما" الذي يسمو على كل الآلهة، وتُدعم قولها بنصوص الأوبانيشاد المقدسة التي تؤكد بأن الآلهة جميعهم هي تجليات لهذه الحقيقة المطلقة الخالدة، إضافة إلى أن "براهمان" هو نفسه "أتمان" أي النفس أو العقل، ومن ثم فوعي كل شخص هو حقيقة مطلقة. لكن بوذا اعترض على ذلك وتحدث بين الجميع بأن الحقيقة المطلقة ليست إلهاً من الآلهة أو براهمان، وإنما هي حالة ذهنية تسمى "النيرفانا"، وهي حالة من البهجة بإمكان الانسان المستنير أن يبلغها بنفسه، وزاد على ذلك بأنه لا يوجد براهمان ولا أتمان، بتأكيده بأن كل شيء يتغير باستمرار، من ثم فما من مواد باقية على الإطلاق. فما رآه البراهمة على أنه شيء جوهري ثابت، كان ينظر إليه بوذا على أنه وهم، بالإضافة إلى أن البراهمة سعوا إلى تحقيق الرغبات، أما بوذا فكان يسعى إلى إخمادها[١]. من هنا بدأ بوذا يستخدم مهمته التي جاء من أجلها إلى ماناسكريتا وهي إضعاف سلطة البراهمة برده لهما:

-

- أو تظنان أن طريقهما حق ؟.
- فازيشتا وبهارادفاجا: نعم نظن ذلك يا "غوتاما".
- بوذا: أجيباني، هل حدثكم أحد من البراهمة في كتاب (الفيدا) أنه رأى "براهما" وجهاً لوجه؟ وهل أحد من معلمي البراهمة قرأ في (الفيدا) أن أحدهم شاهد "براهما" وجهاً لوجه ؟.
- فازيشتا وبهارادفاجا: كلا أيها السيد.
- بوذا: وهل أحد ممن كتب (الفيدا) أبصر براهما وجهاً لوجه ؟.
- فازيشتا وبهارادفاجا: كلا ثم كلا.

[١] - جون مورال ، تماراصن : " أشهر ٥٠ خرافة عن الأديان " ، ترجمة : فايقة جرجس حنا ، مراجعة : جلال الدين عز الدين علي ، مؤسسة هنداوي سي آى سي ، المملكة المتحدة ، ٢٠١٧ م ، ص ١٨ ، ٢٢٢.

- بوذا: إن ذلك يشبه رجلاً أراد أن يبني درجاً في مكان بين أربعة ممرات ليصعد إلى قصر فخم، فسأله الناس: أو تعرف في أي جهة يسكن سكان القصر ؟ أهم في الجهة الشرقية أم الغربية ؟ أم هم في الجهة الجنوبية أم الشمالية ؟ أو تظن أنهم في أعلاه أم في أدناه أم في الوسط ؟.
- فقال لهم: لا أعلم بالتمام الجهة التي يشغلونها.
- إذن كيف تشيد هذا الدرج وأنت لا تعلم الجهة التي يسكن فيها الأصدقاء ولم ترهم قط ؟.
- إني أُقيم هذا الدرج لأصل إليهم وأتعرف إليهم.
- فقال "الواحد المبارك": أليس هذا الرجل أحمق ، لأنه لا يعرف السبيل الذي يصل به إلى أصدقاء القصر؟.
- أجابه البرهميان "فازيشتا وبهارادفاجا": بالحق نطقت يا "غوتاما" .
- فقال لهما: كيف يقول لكم البراهمة أننا نريكم الطريق الذي يوصلكم إلى "براهما" فتتحدان به، ونحن لم نره ولم نتعرف إليه ؟ .
الحق أقول لكم: طرق البراهمة لا تسلكا لأنها ضالة وباطلة .
- فقال "بهارادجافا": افلا يجب علينا أن نتبع تعاليمهم ؟.
- أجابه "الواحد المبارك": إنه من الصعب على البراهمة أن يثبتوا لكما من كتاب (الفيدا) السراط الذي يوصلكم إلى الاتحاد بمن لم يعرفوه ولم يروه، وما مثلهم إلا مثل عميان قد عُلق أمامهم خيط يترجح في الهواء فلا يبصرون إلى أي جهة يتجه وإلى أي جهة يرجع. فكلام البراهمة المعمى في (الفيدا) مثل هذا الخيط ومثلهم كعميان لا يوضحون شيئاً ولا يعلنون غاية ما [٢].

نستنتج من خلال هذا الحوار الذي دار بين بوذا والبراهمانين:

أولا: بأن بوذا قد رفض رد بوسخاراسادا وتاروكسيا بأنه حقيقة الاتحاد بالإله براهما بأنه متمثل في الأشخاص والحيوانات وفي كل شيء بل وفي كل مكان، وندلل على ذلك بحجة بوذا بأن "براهما" ليس الحقيقة العليا وليس متمثلًا في كل شيء ذلك لعدم استطاعة الناس رؤيته وجهًا لوجه فكيف يتحدوا به ولم يروه ولم يتعرفوا إليه؟.

ثانيا: نلاحظ أيضا في هذا الحوار أن بوذا لم يخف من جرأته بتشبيهه للبراهمة بأنهم مثل العميان لا يفقهون شيئاً. والجدير بالإشارة أيضًا في هذا السياق أننا نلاحظ هدوء في المساجلة، وبعد عن العنف و المقاومة من قبل الرأي العام التابع تجاه دعوة بوذا، وربما يرجع هذا في المقام الأول إلى مكانته الاجتماعية التي حظي بها، ودعوته إلى الغاء القرابين .

[٢] - بوذا : الإنجيل، مصدر سابق ، ص ١٥٤ ، ١٥٥.

٢- معارضة طقوس الكهنة

كان الغرض من القيام بطقوس القرابين عند الكهنة استمرار الكون بأفضل مستوى كفاءة ممكن. وكانت هذه الصلوات والطقوس تُقدم لآلهة القوى الطبيعية مثل الشمس والقمر والمطر والبرق والرياح وغيرها. كما كانت تُقدم أيضاً لمبادئ مجردة مثل العهود والنذور، وتتم في مكان مُعد ومتخصصًا لذلك، منظم حول نيران موجودة في المنتصف، بالإضافة إلى الكلمات والأصوات التي يُتمتمون بها أو يتحدثون بها أو ينشدونها. كانوا يستخدمون أيضاً أدوات معدنية عند وضع القربان في النار، وكان يُطلق على ما يُقدم له القربان "ديفا". فالشخص الذي يؤدي طقوسه على نحو صحيح، فإن "الديفا" تمنحه التيسير في وظيفته الكونية. ونظراً لأن الكتابة كانت غير معروفة في ذلك الوقت فقد تولت عائلات مختلفة من الكهنة البرهميين مسئولية الحفظ الشفهي للنصوص المتعلقة بواجباتهم الشعائرية. وكان الكهنة تتعمد مراقبة أداء الطقوس خاصة طقوس الزواج وإنجاب الأطفال لكي تضمن استمرارية النظام الاجتماعي الطبقي التي تقوده [٣].

لكنه حدث عند ظهور المستنير بوذا أن عمل على إضعاف قوة هذه الطقوس التي كان البراهمة يؤدونها والتقليل من شأنها. وبين أن الغرض منها ليس تحقيق الخلاص بل الكسب المادي والعلو من مكانتهم والسيطرة على المجتمع والانفراد بقراءتهم للنصوص المقدسة. وأبطل صحة الأدعية والصلوات التي يتقربون بها إلى الآلهة بقوله:

- لنفرض أن رجلاً ما جاء إلى ضفة نهر وأراد أن يجتاز إلى الضفة الثانية لقضاء عمل، أتصدقون أنه يقدر أن يجتاز إليها بالأدعية والأوردة والصلوات وهو قابع في مكانه ينظر؟.
- أجابه البرهميان "فازيشتا وبهارادجافا": بالحقيقة لا، لا نصدق أنه يتأتى له ذلك إن لم يسع إلى الضفة الثانية .
- إذن اعلما أن هذه هي طريق البراهمة الذين يعلمون الناس قائلين : "إيندرا" إليك نتوسل، "سوما" ندعوك فاستجب لنا، "فارونا" عليك نتوكل فساعدنا، "براهما" إليك نلجأ فقُونا. أبمثل هذا يقدر البراهمة أن يتحدوا "ببراهما" بعد موتهم؟ أجيباني ألا اعلما أن عقولهم مريضة تجنح إلى الشهوات، يعلمون الناس ما ليس حقاً. ألا قولا لي : أيكون "براهما" قوة شر وأذية وكسل وكبرياء؟.
- البرهميان: كلا، كلا أيها السيد المبارك.
- هل بكثرة الأدعية وتكرار الصلوات يتحرر الآلهة من ضلالهم ، ورذائلهم؟.

[٣] - سو هاميلتون : الفلسفة الهندية، مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة: صفية مختار، مراجعة: هبة عبد العزيز غانم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠١٦م، ص ٣٠ ، ٣١ ، ٤١.

- أجابه "فازيشتا": لا أظن أيها السيد.
- إذن فاعلما إذا كان البراهمة لا يتحررون من رذائلهم وطمعهم، من الأذية والشر والشهوة والتواني والكبرياء والريب بأدعيتهم هذه الباطلة، فكيف يقدرون أن يتخذوا بمن ليس هو من طبيعتهم ؟ وعليه فالحق أقول لكم: إن طريق البراهمة صحراء مرملة مجدبة وعرة تنبت اليأس وقطع الرجاء فلا تسلكوها [٤].

نستنتج من خلال الحوار السابق أن بوذا لا يعترف بطقوس الكهنة المتضمنة في الأدعية والصلوات والقرابين التي هي في أذهانهم طرق توصلهم بالآلهة، ولا يقتنع بالكلمات التي يرتلونها أثناء تأدية الصلوات، لأن الكهنة في رأيه مصدر شر وفساد للمجتمع، فالشخص الطالح الفاسد لا يمكن له أن يبعث الخير للناس، ثم يصف عقولهم بالمرض التي تتبع طريق الشهوات والرذائل لاعتماد هذه العقول على صفة التواكل لتقربهم للآلهة بالقرابين والعبادات والهدايا لقضاء مصالحهم دون السعي إليها .

بدأ بوذا يعلم البرهميين بأن الطريق السوي للخلاص هو إتباع تعاليمه ونشر المحبة بين الناس، وأن الرجل الحق هو الذي يسلك طريق الاستقامة، ويرى المخاطر وينكب عنها، ويسلك سبيل الموت ليحيا بغنى القداسة قولاً وعملاً. ويحرص على حياته نقية طاهرة، ويصبح العمل الصالح مسلكه واليقظة باب شعوره فهو فرح أبداً قلباً وقالباً.إن بوذا يقف موقف المعارض لكهنة البراهمة الذين وضحوا بأن السبيل للاتحاد هو إتباع طريق الإله براهما، أما بوذا وضح عكس ذلك وأشار بأن سبيل الاتحاد ليس الوصول للإله براهما بل الاتحاد بالممرات الثمانية - التي سنتعرف عليها في الفصول الآتية- و بها يصل المرء إلى النور والبركة والنيرفانا. أيضاً سلك بوذا الطريق الذي لم يستطع البراهمة أن يسلكوه في تعليمهم للناس وهو طريق المحبة والإقناع والحجة والبرهان والني نراها في طريقة حواره مع البراهميين السابقين .

رفض بوذا أيضاً طرق عمل الخوارق والاتيان بالمعجزات و العجائب، فعندما جاءه أحد التلاميذ وسأله: لماذا منعتنا عن اجتراح الخوارق الفائقة الطبيعية ؟، أجابه بوذا: بأنه كلام فارغ لا معنى له، ونرى ذلك في حديثهما كالآتي: -

- سأله التلميذ: اتعدّ الخوارق كلاماً فارغاً؟.
- قال له: لا شيء عجيب ولا شيء خارق في العالم، إن الخاطئ يقدر أن يتطهر ويستنير بنور الحقيقة، ويجد الطريق متنكباً عن طريق الشر والأنانية. إن الزاهد الذي يتخلى عن كل لذة عالمية، سعياً وراء البركة الدائمة والقداسة الحقة، فعمله هذا يُعد خارقاً ومن العجائب، أيضاً يُعد تغيير الشخص من ذلة الشر إلى حال القداسة هو عجيبة خارقة .

[٤] - بوذا : الإنجيل، ص ١٥٧.

فالشيء الخارق هنا عند بوذا ليس معناه اقتراف العجائب بل يعني التحول من طريق الشر إلى الخير والاستنارة بنور الحقيقة [٥].

لم يرفض بوذا فقط الاتيان بالخوارق والعجائب فقط، بل حرم فعلهما على تلاميذه، فحينما قام "قاشيابا" أحد تلاميذ بوذا باقتراف عجيبة ما وهي تناوله لقصعة الخشب الثمينة المرصعة بالجواهر العالية التي علقها "جيوتيشكا" في قمة منزله وراهن على من يمسك بها، فقام تلميذ بوذا "قاشيابا" بفعل عجيبة ما استطاع بها أن يتناول هذه القصعة الخشبية. وعندما علم بوذا بذلك الأمر أخذ القصعة وكسرها على مرأى ومشهد من الناس، وبذلك حرم على تلاميذه اقتراف العجائب وقال لهم: (هأنذا الآن أُحرم عليكم أيها الزهاد السحر والتعازيم والابتهال إلى أي قوة لأن هذا كله باطل)[٦].

أيضا اعترض بوذا على شعور الكهنة بأهميتهم الذاتية وعدم اهتمامهم بتحرر الآخرين، فاعمل بكل الطرق على تقليل نفوذهم، واعتبر أن مزاعم أحقيتهم في احتكارية القيام بالطقوس والسلطة المطلقة تضر بمصالح الناس. ونادى أن كل الأنشطة الشعائرية التي كان الكهنة يزاولها عبثية، وأن تركيزهم على تذكر الصيغ المقدسة بدقة وحجب اللغة المقدسة عن الآخرين يصرف الانتباه عن الحاجة إلى فهم آليات الوجود ويوجه فقط نحو التفاصيل المتعلقة بالأصوات والصيغ المنطوقة. لذلك نجد بوذا يؤكد على أن المهم ليس الحرف وإنما الروح، وما يهم ليس التفاصيل بل الصورة الكلية، فليس المهم أن يحفظ المرء بل أن يفهم [٧].

ليس معنى ما ذكرناه عن رأى بوذا في أداء البراهمة للطقوس، أنه رفض الطقوس رفضاً تاماً، بل اشتملت البوذية على طقوس ومراسم ذات طبيعة عامة وخاصة أيضاً، مثل الطقوس الخاصة بالرهبان. فطقوس الانضمام إلى الرهبان تتم عندما يصبح الشخص راهباً (فيُحلق رأسه على سبيل المثال)، وتوجد طقوس دورية مثل التدريب الجماعي على قواعد الرهبنة التى تدعى بطقوس "الباتيموكا" في أيام البدر والهلال في كل شهر. ومن الطقوس السنوية المهمة مهرجان "كاتينا" الذي يُقدم العامة فيه مواد جديدة لصنع الخيال بعد أن ينتهي الرهبان من اعتكافهم خلال موسم المطر، نضف إلى ذلك أن الرهبان البوذيين ليس لهم دور كهنوتي مثل الذي كان يمارسه كهنة البراهمة، فهم ليسوا وسطاء بين الإله والبشر، كما أن ترسيمهم رهباناً لا يمنحهم أي قوى خارقة ولا أي سلطة [٨].

---

[٥] - نفس المصدر ، ص ١٩٢.

[٦] - نفس المصدر ، ص ١٣٢ : ١٣٤.

[٧] - سو هاميلتون: مرجع سابق، ص ٦١ ،٦٢.

[٨] - داميان كيون: البوذية: مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة: صفية مختار، مراجعة: هاني فتحي سليمان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط ١، القاهرة، ٢٠١٦ م، ص ١٩ ، ٢٠.

ثانياً :- موقف الملوك والرأي العام من الديانة البوذية

كانت هناك قوة أخرى تعرضت للضرر والتهديد من قبل خطاب الاستنارة لبوذا وكان عليها أن تهب في وجهه تدافع عن مصالحها، ألا وهي السلطة الزمنية الحاكمة على المدن الهندية في ذلك الوقت. لقد جنت هذه السلطات الحاكمة في هذه المدن مكاسب مادية ومعنوية عظيمة جراء التزاوج القائم آنذاك بين الدين والسياسة، ولم تكن تقبل بأي حال من الأحوال أي تهديد لهذه المكاسب المتوارثة. فوقفت لدعوة بوذا موقف العداء الشديد.

وهناك سلطة أخرى قاومت خطاب بوذا وعارضت تعاليمه واقصد بها سلطة الراي العام أو العامة. حقا كان الدافع وراء هذه المقاومة ليست المكاسب الدينية ولا المكاسب المادية والسلطان، بل كان السبب أن الرأي العام غالبا ما يرفض أي خروج على العادات والتقاليد المتوارثة عن الاجداد، ويرون في أي رأي جديد وفي أي خروج على التراث تهديدا لتماسك وامن الجماعة وبالتالي ينبغي مقاومته بكل قوة .

١- سلطة الملوك

عمل ملوك المدن على توظيف قوتهم لصد بوذا ومناهضته في أداء رسالته، مثل الملك "فيروددهاكا" حاكم مملكة كاش ولاية كابيلا فاستي الذي هاجم بوذا وأخذ يذبح في أمراء ساكيا من أبناء عمومته[٩]. أيضاً الملك "بمبيسارا" الذي سعى إلي أن يهبط من عزيمة بوذا وأن يغريه بالمشاركة في الحكم مقابل التخلي عن دعوته بقوله له: (إنك يا "شارمانا" قد خُلقت لتقبض على صولجان الملك وليس على قصعة الفقراء، إني لأشفق على شبابك ولو لم أعلم أنك من أصل ملوكي لما أتيت أسألك أن تشركني في الملك، فتحكم معي، وبذلك يكون لك الغنى والدين والحقيقة وتصبح الحكيم المرموق في العالم أجمع). فهذا القول به اغراء شديد أراد به بمبيسارا أن يجعل بوذا يخوض معه تجربة المشاركة في الحكم الذي سيجلب له الغنى والمال. لكن بوذا رفض هذا العرض مما جعل الملك نفسه يؤمن برسالته. إذ سرعان ما آمن برسالة بوذا حتى إذا سمع بمجيء بوذا إلى قرية راجاغريها، جاء الملك بمبيسارا يحف به وبجنوده وقواده وأعوانه وجمع غفير من الناس ليشهدوا معلم الشريعة الأعلى[١٠].

وذلك لأن تعاليم بوذا كانت تهدف إلى نشر الخير واظهار الحقيقة، مما جعلت "بمبيسارا" يشعر بالسكينة والراحة، فانتمى إلى رعية بوذا على الرغم من اختلافه معه في البداية، أيضاً جعلت الملك "أشوكا" يتبنى تعاليم البوذية ويعمل على

---

[٩] - عبد العزيز محمد الزكي: قصة بوذا، دار المطبوعات الحديثة، الإسكندرية،١٩٥٩م، ص ١٤٢.

[١٠] - بوذا : مصدر سابق ، ص ٢٩ ،٧٤.

انتشارها في أنحاء دولته وينشر التسامح عن طريقها، فبقت دينا لدولته زمناً طويلاً في عهده، وظلت دين الشعب المسيطر في ستة قرون أو سبعة قرون [١١].

٢- سلطة الرأي العام

يقصد بسلطة الرأي العام أي "الشعب"، فقد ناهض الشعب بوذا وتذمروا منه بسبب رؤيتهم كثيراً من الشبان المميزين في مملكة "ماغادها" يعتنقون الحياة الدينية، بإدارة "الواحد المبارك" فقالوا: (إن غوتاما شاكيا موني أغرى الآباء فتركوا نساءهم وبسبب هذا انقرضت الأسر.) وكان الشعب كلما رأى الزهاد يقومون بشتمهم وسبهم قائلاً لهم: (إن شاكيا موني " العظيم جاء إلى "راجاغريها" ليفسد عقول الرجال الذين اقتادهم إليه.) فأخبر الزهاد "الواحد المبارك" بالأمر فقال لهم: (إن هذا التذمر أيها الزهاد لن يدوم طويلاً، إنه لا يدوم أكثر من سبعة أيام، فإذا شتمكم الشعب وأهانكم، فأجيبوه بهذه الكلمات: (إن "تتغاتا" يقود الرجال ببشارة الحقيقة فمن يتذمر على الحكمة؟ من يلوم الفضيلة ؟) فمراقبة الذات وطريق البر والقلب الطاهر لا ترفض المعلم السيد [١٢].

كما وجد بوذا أيضًا اضطهادا من قبل الجمهور بسبب قبوله للنساء للانضمام إلى الرهبنة وفرقته الدينية، مما جعل الجمهور يثور عليه لأنه بذلك يفرق بين العائلات ويمنع الزواج، وسيؤثر ذلك على الوضع الاجتماعي، وزاد الاضطهاد عليه عندما قبل ٥٠٠ ساكياني أي "إمراه" من عشائر عدة للانضمام إليه مما أدى إلى تفتيت أسرهن، لكن بوذا لم يهدف إلى تفتت الأسر بل إنه أراد أن يثبت أن كلا من الرجال والنساء لديهم إمكانيات متساوية للحصول على التنوير الروحي[١٣].

نلاحظ هنا مدى ارتباط الزهاد بقدوتهم بوذا، فقد اتبعوا حديثه وتحلوا بصفاته، التي نراها تظهر أثناء تعرضهم للسب والقذف من الجمهور، فلم يردوا الإساءة بإساءة، بل أرشدوهم لنور الحقيقة والفضيلة وكانت نتيجة ذلك تقبل جزء كبير من الجمهور لتعاليمهم وانضمام النساء إليهم.

ثالثاً : - موقف المجتمع الأثيني من خطاب سقراط

رأينا فيما سبق ذكره عن بوذا أنه لم يتعرض للاضطهاد العنيف والضغط الشديد الذي يعرقله عن تأدية رسالته التنويرية، نظرا لما كان عليه قبل دعوته من مكانة سياسية واجتماعية مرموقة. أما حظ دعوة سقراط فكان اسوأ بكثير من حظ

---

[١١] - غوستاف لوبون : حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٣٠٧.

[١٢] - بوذا : مصدر سابق ، ص ٨٣.

[13] - Chatsumarn Kabilsingph. D.: Women In Buddhism (Questions and Answers)" , Buddha Dharma Education Association Inc., Chicago, U.S.A, 1998. P 13.

دعوة بوذا، إذ تعرض سقراط لسيل جارف من الاضطهاد والمقاومة ليس فقط من قبل السلطتين الزمنية و الدينية في أثينا، بل وايضا من قبل سلطة الرأي العام الشعبية. وانتهي به الأمر إلى أن يتذوق كأس الشكران بالحكم عليه بالإعدام.

فعلى الرغم من أن اثينا القرن الخامس ق.م كانت تعيش عصرها الذهبي حضاريا وفكريا وسياسيا واقتصاديا والذي مكن لها أن تحظى بلقب معلمة اليونان، ورغم ما شهدته ثانيا من ظهور لتجربة فريدة من تجارب نظام الحكم الديمقراطي والتي صدرتها إلي كل دول وحضارات العالم فيما بعد واصبحت مضرب الأمثال بين الأمم. ورغم ما كان يتمتع به الشعب الأثيني في ظل هذه التجربة من حيز غير مسبوق من الحريات والحقوق السياسية والمدنية والدينية ، رغم كل ذلك تظل أثينا القرن الخامس ق. م نظاماً ديمقراطيا غير مثالي، فقد شهد عددا لا بأس به من صور الاضطهاد والإرهاب والذي يرقى إلي مستوى الارهاب المؤسسي المنظم ضد المعارضين لنظامها السياسي والديني والفكري. لقد كانت اثينا مدينة شديدة العداء لكل من يهدد أو حتى يتُوقع في يوم من الأيام أن يهدد نظام الحكم فيها. وقد وصل هذا الارهاب إلي حد ايقاع اشد أنواع العقاب بالمخالفين. فقد اضطهدت أنكساجوراس وأسبازيا وبروتاجوراس، وتم اعدام سقراط (٣٩٩ق.م) Socrates (فيلسوف الكلمة وشهيد الفلسفة الأول) لمجرد اسكات صوته وايقاف مناقشاته الجريئة والساخرة من نظام الحكم الأثيني ومن جهل وادعاء زعمائه المتصدرين للساحة في كافة الأصعدة.[١٤]

تعرض سقراط للعديد من الاتهامات والسلطات المناهضة، لأنه لم يكن يُحرج فحسب الرجال الأقوياء في أثينا بل أظهر جهرة وبشكل فج جهل أولئك الذين يتظاهرون بالحكمة هذا في المقام الأول، وفي المقام الثاني إضافة إلى أنه أظهر بغضاً للديمقراطية الأثينية فلم يكن من مؤيدي مصالح الصفوة أصحاب الامتيازات ولم يستطع أن يكيف نفسه مع حكم الغوغاء الذي كان يتم باسم الديمقراطية، وثالثا إلى جانب اعتقاده بأن حكم الدولة يجب أن يقوم في أيدي الحكماء والعادلين والأخيار المدربين على الحكم وهؤلاء قلة بالضرورة، وأخيرا لأن العقلية الشعبية خلطت بينه وبين السوفسطائيين، وهذا أمر خاطئ تماماً لأن سقراط لا يماثل السوفسطائيين بالمرة سواء في طريقة حياته أو في اتجاه تفكيره، وأكد على هذا الخلط أرستوفانيس في مسرحيته المشهورة بالسحب، والتي أظهر فيها سقراط بأنه زعيماً للسفسطائيين، فكيف يصبح سقراط زعيماً لهم وهو على خلاف من أفكارهم، وهذا ما سنوضحه بالتفصيل في الصفحات التالية [١٥].

---

١٤ ـ محمود السيد مراد : " الإرهاب الديني والفكري لمدينة أثينا في القرن الخامس ق.م " ، تم نشره ضمن أعمال مشروع التاريخ النقدي للغرب، (٢)،ص١.

١٥ ـ وولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية : ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ م ، ص١١٧ ، ١١٩.

إذن رفعت كل السلطات التي فضح خطاب سقراط التنويري جهلها وادعاءها عليه سلاح المقاومة والتنكيل، ورغم تكتل كل هذه القوى وتحالفها معا في وجه سقراط، إلا أن سقراط لم يرهبها ولم يؤثر السلامة، بل اثر الدفاع عن رسالته والولاء لفلسفته والوقوف في وجه هذه القوى الظلامية حتى ولو كانت حياته ثمنا لهذا الولاء. ونستطيع ان نجمل ابرز القوى الظلامية التى ناصبت خطاب سقراط العداء، ودخلت معه في معركة وجود (اما سقراط واما نحن) في النقاط التالية:

١- مقاومة قادة الفكر (السوفسطائيين)

فبالنسبة لقادة الفكر الذين هاجموا سقراط في عصره فكانوا ممثلين في طبقة نبلاء الرأي والثقافة وهم السوفسطائيين، فقد كانوا زعماء عصرهم من الناحية الفكرية والثقافية، وامتلكوا قوة تأثير عظيمة ليس في المجتمع الأثيني وحده، بل وربما في مدن اليونان قاطبة. وذلك بسيطرتهم على الشباب بمحاضراتهم التي اتسمت بالبلاغة وحسن الاستقبال من قبل الآخرين والتلاعب بالألفاظ، وقد هاجموا سقراط لأنه خالف أفكارهم من ناحية الأخلاق والسياسة والعلم، فمن ناحية الأخلاق فكانوا يعلمون الشباب أن الأخلاق مسألة اختيار شخص وأن الأنانية البشرية ليست سوى مسألة طبيعية [١٦]. لكن اختلف سقراط عنهم في أنه جعل الاهتمام بالأخلاق مركزاً للتربية التي جعلت الشباب يتميزون بالهداية ، وكان قوله دائما بأن الفضيلة لا تُعلم بينما المعرفة تُعلم.[١٧] ومثل على ذلك برجل أرستقراطي من أغنى الأثينيين ويُدعى "كالياس" بن هيبونيكوس، والذي جعل بيته منزلا السفسطائيين يلقون فيه خطبهم وأحاديثهم، وكان يعطيهم أجوراً عالية أكثر من المواطنين الآخرين، وكان له ولدين يُحضر لهما معلمين من السوفسطائيين. وكان سقراط ينصحه كثيرا بأن هؤلاء ليسوا متخصصين وأنه لابد أن يجلب لهما من يعلماهما التربية والسلوك قبل تلقي العلم.[١٨] نضف إلى ذلك بأن السوفسطائيين من أنصار النسبية وهي الادعاء بأنه يمكن أن تكون الجملة نفسها صحيحة أو خاطئة، من حيث كونها صحيحة لشخص واحد وكاذبة عند آخر، عادة ما يُفهم هذا الادعاء بأن ما أعتقد أنه صحيح بالنسبة لي، يعتقده الآخر بأنه عكس ذلك. فالنسبية تسمح بوجود معتقدات معاكسة، وربما لم يكن جورجياس من أنصار النسبية، لأنه يبدو أنه يؤكد أنه لا توجد معتقدات صحيحة على الإطلاق، ولا يمكن أن يكون أنطيفون الذي يلجأ إلى الطبيعة كمعيار لانتقاد القانون نسبيا، لكن بروتاجوراس كان من أنصار النسبية وفقا لإثبات محاورة ثياتيتوس لأفلاطون، ونفهم من ذلك بأن

---

[١٦] - ديف روبنسون ، وجودي جروفز : " أقدم لك أفلاطون " ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص٢١.

[١٧] - عزت قرني : الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، مكتبة نرجس، الكويت، ١٩٩٣م ، ص ٨٦

[١٨] - أفلاطون : محاورة الدفاع ، ترجمة : عزت قرني ، مصدر سابق ، فقرة (٢٠ أ ، ب)، ص١٠٦.

السوفسطائيين جعلوا الخير والشر يُقاس بالاستفادة مثل زيت الزيتون فهو مفيد لبعض المخلوقات وسيء للآخرين، ومثل العديد من السياسات تفيد فئة واحدة من الناس بينما تؤذي الأخرى [١٩].

أما من ناحية السياسة فكان هدفهم من الاهتمام بالسياسة إحداث شهرة لأنفسهم ومن أجل الكسب المادي، فجعلوا من المتهم برئ ومن البريء متهما. واختلف عنهم سقراط في أنه كان يتفلسف باعتباره "أثينيًا" أي أن الاهتمام بالمدينة كان أساسياً لديه على عكسهم، وهذا يتضح في اتجاهاته السياسية وقيامه ببعض المهام السياسية التي أُستدعى إليها. أما من ناحية العلم فكانوا يتقاضون أجوراً نظير إلقاء محاضراتهم[٢٠]. أما سقراط فقد رفض أن يأخذ أجراً على مصاحبته للشباب، ودلل على ذلك بقوله: (فلست بالذي يدخل في حوار من أجل الحصول على الأجر)، لذا نلاحظ أن متهميه قد وصلت بهم الوقاحة في اتهاماتهم، لأنهم لم يستطيعوا أن يجلبوا شاهدا يقول بأن سقراط كان يطلب أجراً على تعليمه للشباب، ونؤكد ذلك بحديثه: (ويكفي - فيما اعتقد - فقري شاهداً أقدمه على أن ما أقوله حق) [٢١].

وكان سقراط راضيا عن فقره، وبقى في منزله، وكان نادرا ما يغادر خارج أسوار المدينة، وبما أن المال لم يكن الغاية الأساسية عند سقراط، فلم يكن بحاجة إلى السفر على عكس السوفسطائيون.[٢٢] ونجده يدفع من جيبه في سرور لمن يرغب في الاستماع إليه وكسب من وراء ذلك محبة البشر وعدد غير قليل من الشباب الثرى. لكن يمكننا أن نقول أن عدم تلقيه الأجر من تعليمه للشباب، جذبت حوله الشباب وفي نفس الوقت أدت بإثارة الغيرة والحقد والهجوم الشديد عليه من قبل السوفسطائيين[٢٣]. لأنه رأى أن العلم تحول على أيديهم إلى سلعة، وبوقوف سقراط ضد أفكارهم، أدت به أيضاً إلى أن يصبح العدو اللدود الذي لا تعجبه أساليبهم فحدثت بينهم العديد من المشاحنات، حيث منع عنهم الكسب المادي الذي كانوا يسعون إليه، لأنه لم يرض على ربط العلم بطلب الرزق لاعتقاده بأن العلاقة المالية بين المعلم والتلميذ تجعل الأول في حالة أقرب ما تكون إلى العبودية بإزاء الثاني. ونحن نعلم أن من سمة السوفسطائيين الإتيان بوجود الحجة المراوغة في حديثهم، فحينما اتهمهم سقراط بأن هدفهم من الحياة الحصول على الأموال، كان

---

[19] - Paul Woodruff : Socrates Among The Sophists", A Companion to Socrates , Edited by :Sara Ahbel – Rappe and Rachana Kamtekar , Black Well Publishing Ltd , Oxford , 2006, p 39, 44.

[٢٠] - عزت قرني : مرجع سابق ، ص ٨٦ ، ٨٩.

[٢١]- أفلاطون : محاورة الدفاع ، مصدر سابق ، فقرة (٣١ ب ، ج ، ٣٣ أ) ، ص١٢٣، ١٢٦.

[22] - Paul Woodruff : Op. Cit., p 43.

[٢٣] -أفلاطون: "محاورة أوطيفرون "، مصدر سابق ، فقرة (٣د) ، ص ٣٧ ، ٣٨.

رد بروتاجوراس عليه بأنه يترك للتلميذ تقدير القدر من المال الذي يعتبره مقابلاً للفائدة التي جناها منه ومن أي سفسطائي [٢٤].

أيضا يذكر سقراط في محاورة الدفاع بأن جورجياس وبروديكوس وهيبياس كانوا يذهبون إلى كل مدينة ويقنعون الشباب الذين في مقدورهم المال، والذين هم في صحبة المواطنين الذين يتلقون أحاديث سقراط بالمجان ، أن يتركوا صحبتهم وأن يصاحبوهم هم أنفسهم مع إعطائهم الأجور.[٢٥] نضف إلى ذلك بأن صافي ثروة سقراط بما في ذلك منزله كان يعادل ما يتقاضاه السفسطائي لدورة واحدة، بل أقل من العامل الماهر الذي يكسبه في سنة ونص.[٢٦] وكان يعيش بأقصى قدر من الاكتفاء الذاتي على أقل قدر من المال والثروة، وسمى أولئك الذين يأخذون أجرًا على تدريسهم للشباب بأنهم عبيد لشهواتهم [٢٧].

نستنتج مما سبق ذكره بأن سقراط وقع مع السوفسطائيين في صراع عنيف بسبب اعتراضه على أفكارهم وتعاليمهم التي يعلمونها للشباب، فقد رأى فيها سقراط شيئًا من الفساد لآنها على عكس طبيعته وأفكاره هو، ولاعتمادهم الشاغل بجمع المال، أيًا كان الذي يلقوه من دروس يسبب نفعًا أم يسبب ضررًا. وبالرغم من مكانة السوفسطائيين الاجتماعية وسط المجتمع إلا أن سقراط لم يخف من قوتهم بل تحداهم وعارضهم من أجل تحقيق هدفه السامي وهو تنوير العقول المظلمة والوصول بها إلى اعتمادها على ذواتها والإصلاح منها. واعتراض سقراط على السوفسطائيين جعلهم يشعرون بالقلق لاهتزاز منزلتهم في المجتمع، مما جعلهم يضطهدونه ويلفقون له العديد من التهم لكي يتخلصوا منه وهذا ما سنراه في الصفحات الآتية .

٢- سقراط وهجوم الشعراء

كان الشعراء وكتاب المسرح يعدون من ضمن قادة الفكر في المجتمع الأثيني، بالإضافة إلى فئة الخطباء والسياسيين، فكان لكل فئة من هذه الفئات قائد يمثلها ، فكان "أنيتوس" يمثل السياسيين، و"مليتوس" يمثل الشعراء و"لوكون" يمثل الخطباء، وللأسف الشديد قامت جميع هذه الفئات بمناهضة سقراط. حتى وان كان مليتوس هو المدعي الرسمي وحده ضد سقراط، إذ ربما دفعه أنيتوس لرفع هذا الادعاء وشجعه على ذلك، لأنه كان من زعماء الحزب الديمقراطي وقت

---

[٢٤] - عزت قرني : مرجع سابق ، ص ٨٦ ، ٨٩.

[٢٥] - أفلاطون : محاورة الدفاع ، مصدر سابق ، فقرة (١٩ ه ، ٢٠ أ) ، ص١٠٥ ، ١٠٦.

[26] - Debra Nails : The Trial and Death of Socrates", A companion to Socrates, Edited by: Sara Ahbel -Rappe & R. Kamtekar, Black Well Publishing Ltd, Oxford, p 5.

[27] - Xenophon : Memorabilia, Translated and Annotated by: Amyl. Bonnette, With an Introduction by: Christopher Bruell, Cornell University Press, Ithaca and London, 2001Book 1, Chapter 2, Fragments (6,14), p 7.

المحاكمة، ولكي يؤكد صيغة الادعاء العامة أشرك معه مليتوس ولوكون. ويدلل سقراط على ذلك بقوله: (وأنا أرهب هؤلاء أكثر مما أرهب أصحاب أنيتوس)، وقول آخر: (حتى إذا برأتموني الآن، ولم تتبعوا أنيتوس) و: (وقد تحكمون بإعدامي في عجلة متابعين أنيتوس)، فهذه الأقوال تبرهن لنا بأن أنيتوس هو قائدهم، فقد أعطى الأولوية لمليتوس لرفع الدعوة ضد سقراط، ربما وجد فيه غيرة شديدة على مدينته وحبا شديدا لها. لذا مثل أنيتوس ومليتوس هجوما عنيفا على سقراط، أما لوكون فكان أقلهم أهمية ولم يذكره سقراط إلا مرة واحدة، لكن لولا معونة أنيتوس ولوكون اللذين صعدا إلى المنصة لاتهام سقراط لما نال ادعاء مليتوس خُمس أصوات المحكمة، ولكان اضطر إلى دفع ألف دراخمة كغرامة [٢٨].

وقد اشار ديوجين لايرتوس إلي ذلك بقوله إن سقراط قد أضحى موضع حقد عظيم خاصة من هؤلاء الثلاثة الذين رفعوا عريضة الاتهام ضده، فمن المؤكد أنه قد عامل أنيتوس هذه المعاملة الساخرة المتهكمة، وأنه فعلا قد صور ذلك في محاورة مينون لأفلاطون (90a-95a)، ولما كان أنيتوس هذا لم يستطع ـ كما يروي ديوجين ـ تحمل أن يغدو أضحوكة بواسطة سقراط فناصبه العداء. وكانت هذه المعاملة أيضا الحافز الذي دفع أرستوفانيس وأصدقائه للهجوم عليه، وأسهم بعد ذلك في اقناع ميلتوس إلي أن يوجه لسقراط تهمة الإلحاد وافساد الشباب. لقد ثار أنيتوس غضباً لمصلحة الحرفين والساسة، ولقيون غضباً لمصلحة الخطباء، ومليتوس لمصلحة الشعراء، لقد شعرت كل هذه الطبقات بالكراهية لسقراط.[٢٩]

لقد استجوب سقراط بشكل متكرر مستمعيه، وضعهم وجها لوجه أمام مشكلات الإنسان الجوهرية، ولكنه أبداً لم يحلها، فأثار الريبة والشعور بالنقص، كما أن المطالب التي طلبها خلقت في النفوس غضباً وكراهية له، وقد صور هيبياس ذلك بقوله " إنك دائما يا سقراط ما تسخر من الأخرين، تستجوب وتمتحن كل شخص، ولكنك ترفض دائما أن تخرج نتيجة من عندك، أو تدلي برأي حول أي شيء.[٣٠] وقد اتهم مليتوس سقراط بعدة اتهامات وهي: إفساده للشباب، واختراعه لوجود آلهة جديدة، وعدم اعتقاده في الآلهة القديمة. ومن المحتمل أيضًا أن يكون مليتوس قد لمح إلى جرائم أخرى متنوعة الآثام، بما في ذلك العداء العام للديمقراطية نفسها، وربما قال للقضاة بأن سقراط كان متعجرفًا ومتحدثا ذكي شيطاني. ثم يعلق كسينوفون على هذه الاتهامات بأن سقراط برئ من أي شيء أُتهم به، وأن هذه الاتهامات قد التصقت به لأن أسلوبه كان جريئًا بشكل غير

---

[٢٨] ـ أفلاطون، محاورة الدفاع، مصدر سابق ، فقرة (١٨ب ،١٩ب ،٢٤ أ ـ ج ، ٢٩ه)، (٣١ أ ، ٣٦ أ ، ب) ، ص ١٠٢ ، ١٠٤ ،١١٢، ١٢١ ،١٢٩.

[29] - Diogenes Laertius: Lives of Eminent Philosophers, trans by: R.D. Hicks, Cambridge university press, 1972, Vol.1, 11, 38, p. 169.

[30] - Xenophon: Memorabilia of Socrates, B,1V, ch,4,9,p.133.

عادي وغير مقنع للبعض مما جلب عليه الأعداء.[٣١]

لكننا إذا نظرنا إلى الواقع سنجد أنه بالنسبة للتهمة الأولى وهي إفساد الشباب، فقد دافع سقراط عن نفسه بخصوص هذه التهمة بالحوار والنقاش مع مليتوس عن طريق السؤال والجواب أمام هيئة المحكمة، فقد سأله سقراط من يعمل على تقويم وتربية الشباب للطريق الأفضل ؟، أجابه مليتوس بأنها القوانين، لكن سرعان ما حاصره سقراط بسؤاله عن الشخص المعين الذي يجعل الشباب تسير على الطريق الأفضل ؟، أجابه بأنهم " القضاة "، وهل أعضاء المجلس التنفيذي كذلك ؟ أجابه مليتوس بنعم، وضم معهم كذلك "أعضاء جمعية الشعب" فهم أيضا من يعملون على جعل الشباب أفضل، يتضح هنا من رد مليتوس بأن كل الأثينيين يجعلون الشباب جميلا حسنا ما عدا سقراط. لكن سرعان أيضا ما هزمه سقراط وبين أمام المحكمة بأن مليتوس هو المذنب لأنه يهزل في شأن أمور جادة، ولأنه يأتي بالناس في استهتار أمام المحاكم ، ولأنه يتظاهر بأنه يهتم جديا ويعني بأمور هو لا يفقه فيها شيئا على الإطلاق ، بقوله أن الكثرة دائما تفسد الشيء، على سبيل المثال: " الخيل " فإن واحداً أو عدداً قليلاً جدا هو الذي يعمل على تهذيبها ألا وهم مدربوها، على حين أن الكثرة حينما تهتم بالخيل أو تستخدمها تعمل على إفسادها. فما أعظم سعادة الشباب إن كان واحدا فقط هو الذي يفسدهم على حين أن الآخرين يفيدونهم[٣٢].

نلاحظ هنا من خلال حوار سقراط ومليتوس أن مليتوس لا يشغل باله على أي نحو بأمر الشباب ولا يهتم لأمرهم، وعلى الرغم من ذلك فإنه يتهم سقراط أيضا بأنه يفسد الشباب بإرادته. ويرد عليه سقراط بأنه لا يفسد الشباب حتى وإن أفسد أحداً فإن ذلك بغير إرادته، ومن الواجب ألا يقاد إلى هنا مرتكبو الأخطاء غير المقصودة، بل يجب أن يؤخذوا على انفراد ليعلموا أو ليؤنبوا. فلو كان سقراط يعلم بأنه يفسد الشباب لاقتلع عن هذا الأمر. ففي حديث مليتوس تناقض واضح، لأن المرء لا يريد لنفسه الشر بإرادته، فالكل يريد الخير لنفسه، فمن يعلم الخير يفعله حتما، ومن يدرك الشر ينتهي عنه فورا، ومن هنا بين سقراط للقضاة بأن مليتوس لا يفقه شيئا صغيرا كان أم كبيرا في هذه الأمور[٣٣].

ومن هنا أظهر مليتوس جهله في عدم قدرته على الرد حول الموضوعات التي استجوبه فيها سقراط والتي أوقعته في تناقض ذاتي، بل كانت دافعًا أساسًا لتبرهن أن سقراط لم يكن الشخص المذنب الذي يقوم بإفساد الشباب.[٣٤] ويدافع سقراط أيضاً عن تهمة افساده للشباب بأنه إذا كان قد أفسد بعض الشباب حقيقة كما

---

31 - Josiah Ober : " Socrates and Democratic " , Op., Cit.,p 141.

٣٢ - أفلاطون، محاورة الدفاع ، فقرة (٢٤ د – ه) ، (٢٥ أ ، ب ، ج) ، ص١١٢-١١٤.

٣٣ - نفس المصدر ، فقرة (٢٥ ج ، د ، ٢٦أ) ، ص ١١٤ ،١١٥.

34 - Josiah Ober :" Socrates and Democratic" , OP. Cit., p145.

يقول مليتوس، وإذا كان أفسد بعضا منهم في الماضي، لأدرك البعض منهم ذلك الأمر وقد تقدم به العمر، ولأعترفوا بأن سقراط في شبابهم حدث وأعطاهم نصائح سيئة، ولذهبوا إلى المحكمة متهمين له وآخذين بثأرهم، وإذا كانوا لم يريدوا أن يفعلوا هذا بأنفسهم ، فمن المؤكد بأن بعضا من أقارب هؤلاء، آباءهم، أو إخوتهم أو أقرباء آخرين، كانوا سيأتون إلى القضاة إن كان شرا قد مس أقاربهم بسبب سقراط، منتقمين منه. ويستشهد سقراط على ذلك بحضور الكثير منهم في ساحة المحكمة ومنهم أقريطون الذي كان من عمر سقراط ومن نفس الحي الذي يسكن فيه، أبو كريتوبولوس، ولوزانياس من إسفيتوس، وهو أبو إسخينوس، وكذلك أنيتوفون من كيفيسوس، وهو أبو إبيجينوس، هؤلاء الآباء حضروا محاكمة سقراط لذلك استشهد سقراط بوجودهم أمام القضاة، واستشهد أيضا بإخوة هؤلاء الشباب: نيقوستراتس ابن ثيوزوتيديس وأخو ثيودوتس، ولما كان ثيودوتس قد توفي، فإنه لا يستطيع أن يستعطفه، وباراليوس هذا ابن ديمودوقس، وكان ثياجيس أخوه، وهذا أديمانتس، ابن أرستون، وأخوه هو أفلاطون، وأيانتودورس وأخوه هو أبوللودورس، وكان في مقدور سقراط أن يُسمي للقضاة أكثر من الذين ذكرهم، لذا كان من الواجب على مليتوس أن يقدم في كلمته واحدا منهم على الأقل كشاهد ، ثم يضيف سقراط: (وإذا كان قد سهى عليه ذلك فليفعله الآن، وأنا أسمح له بهذا إن كان قادرا على هذا) [٣٥].

نضف إلى ذلك بأن سقراط لا يفرض نفسه على أحد، فإنه إن وجد سؤالا موجها له من قبل الغني أو الفقير فإنه يجيب عليه، لكنه لا يجبر أحدا على أن يلتف حوله ويستمع له. لذا فإن صلح أحد منهم أو طلح، فإنه ليس من العدل تحميله مسئولية ذلك، ولم يسمح لأي شخص أن يعلمه على انفراد. بل يستمع معه مجموعة من الناس، إلى جانب أن الشباب أنفسهم كانوا يلتفون حول سقراط من أنفسهم، وكان لديهم وقت فراغ، لأنهم من أغنى العائلات، ويستمعون باستمتاع له أثناء فحصه للشباب، بل إن كثيرين منهم يقلدونه ويحاولون بعد ذلك بدورهم فحص الآخرين. ووجدوا على إثر هذا عدداً كبيراً من الأشخاص ممن يعتقدون أنهم يعلمون، على حين أنهم لا يعلمون إلا القليل أو لا شيء على الإطلاق. والنتيجة هي أن أولئك الذين امتحنوا يثورون علي سقراط، ولا يثورون عليهم، ويقولون إن سقراط يشكل دنسا عظيما، وإنه يفسد الشباب، وإذا سألهم سائل عما يفعل سقراط وعما يُعلم حتى يُفسد الشباب، لم يجدوا شيئا ليقولوه، بل تجدهم يجهلون الإجابة. وحتى لا يظهروا ارتباكهم وعجزهم عن الإجابة، بدأوا في تأليف حجج وانتشرت على كل لسان في أثينا، مثل البحث في الأمور السماوية وما تحت الأرض، وعدم الاعتقاد في الآلهة، وصنع القضية القوية من القوية الضعيفة، لكن الحقيقة تتضمن تظاهرهم بالمعرفة، على حين أنهم لا يعرفون شيئا، ويرغبون

[٣٥] - أفلاطون، محاورة الدفاع ، فقرة (٣٣ د ، ه) ص ١٢٦ ، ١٢٧.

دائما أن يكونوا في موضع احترام من قبل الجميع، ومع عددهم المتزايد أصبح لديهم كتلة متكاتفة مع بعضهم البعض، جعلتهم يتكلمون بإقناع فيما يخص أمر سقراط، ونجحوا في ملء آذان القضاة والجمهور بالعديد من الافتراءات [٣٦].

إننا نقول في نهاية الحديث عن هذه النقطة أن تهمة مليتوس لسقراط بإفساد الشباب لا أساس لها. حقا أن ألقبيادس كان تلميذا مفضلا لسقراط وأصبح خائناً لأثينا فيما بعد وعاش حياة تحلل بشكل لا خلاق له وهذا بلا شك ألقى ظلالاً على الفيلسوف في أعين الأثينيين، ولكن سقراط لم يكن مسئولا عن الأفعال الشائنة التي ارتكبها ألقبيادس وكان تأثيره العام على الشباب الأثيني على عكس الإفساد تماما.[٣٧] فقد خلط بينه وبين كريتياس والقبيادس ودلل على ذلك كسينوفون بقوله: (كان كريتياس أكثر ضررًا بالمدينة وسطوًا وعنفًا وقاتلًا في الأوليجاركية، بينما ألقبيادس كان أكثر شراسة ووقاحة وعنفًا للجميع في ظل النظام الديمقراطي)[٣٨].

نلاحظ فيما سبق مدى العنف الشديد الذي تربص بسقراط من قبل الشعراء والخطباء والسياسيين، فقد اجتمعوا على إيذائه بدون أدنى احساس بأن اتهاماتهم باطلة، فكل واحد منهم أراد أن يبطش بسقراط للتخلص منه نهائيًا، لأنه في اعتقادهم يعرقل مصالحهم ويعرقل مهامهم باعتراضاته على ما يقومون به من تخريب وفساد للعقول. فسقراط لم يشيد بأسلوب الخطابة ولم يحبذه ولم يتبعه، مما أدى به إلى إسقاطه منها ومن مكانتها الموجودة في ذلك الوقت، وهذا دفع بولوكون قائد الخطباء إلى هجومه، وكذلك الشعراء في وجهة نظر سقراط يتحدثون ولا يمتلكون دراية ولا معرفة بما يقولونه، بل يعي المجتمع بأحاديثهم المزيفة مما أدى إلى دفع مليتوس لمهاجمته. وأيضًا السياسيين فقد ناهض سقراط أفكارهم الخاطئة التي غلبوا فيها حب المصلحة الخاصة على العامة وإثارة البلبلة والفساد. مما أدى إلى اندفاع أنيتوس قائد السياسيين إلى اضطهاده، لأنه بذلك يزعزع من مكانتهم وسيطرتهم على الدولة.

- هجوم الرأي العام التابع (الجمهور)

لم يُهاجم سقراط من قبل قادة الفكر والنبلاء والخطباء والشعراء ورجال الدين والقضاة فقط، بل هاجمه أيضا الرأي العام التابع المتمثل في الجمهور أي سلطة الشعب بصياحهم واستنكارهم لكلامه اثناء المحاكمة. فمن الطبيعي أن نجد الشعب يطيح بسقراط ويثور عليه لأن الغوغاء تابع خاضع لقواد الفكر التي أدانت

[٣٦] - نفس المصدر ، فقرة (٢٣ ب ، ج ، د) ، ص ١١١.

[٣٧] - وولتر ستيس : مرجع سابق، ص ١١٧.

[38] - Xenophen :" Memorabilia", Book 1 ,Chapter 2, Frgments (12), Op.,Cit., p 7

سقراط. وهذا ما اكتشفه سقراط بنفسه بأن آراء خصمه هي بالفعل في وئام مع معظم سكان أثينا بل مع الرأي العام بأجمعه.[٣٩]

نستشف هجوم الرأي العام الأثيني على سقراط من خلال مشهدين ظهر فيهما العداء الشعبي لسقراط. فقد كان الشعب الأثيني متمثلا في مجموعتين: المجموعة الاولى تمثلت في الخمسمائة فرد الذين مثلوا السلطة القضائية في المحاكمة. وتمثلت المجموعة الثانية في عدد المشاهدين الحاضرين لمحاكمة سقراط. ففي كل عام كان يتم اختيار ستة آلاف مواطن لكي يقوموا بإصدار الأحكام القضائية وكانوا من الشعب، لذا أصبحت المحاكمة جماعية وشعبية لأن سقراط لم يكن ماثلا أمام متهميه وقضاته وحسب، بل كان هناك جمهور كبير من المشاهدين، إلى الدرجة التي تجعلنا نقول أن سقراط أثناء محاكمته كان يجابه الشعب بأجمعه لأن الأثينيين كانوا يتمتعون بصفة عامة بأوقات فراغ طويلة كانوا يقضونها في التسكع وفي الثرثرة وفي الذهاب إلى المسارح ومشاهدة المحاكمات. لذا أثر الشعب على مجرى المحاكمة بصياحه ، فقد قبل كل الافتراءات التي الصقت بسقراط، واعتبرها حقيقة وتناقلها بين بعضهم البعض على مر سنين طويلة قبل المحاكمة أصلا.[٤٠] فلم يوجد نص قانوني يبيح بتحديد عدد الحضور من المواطنين في قاعة المحكمة، لذا أغلب المجتمع الأثيني حضر محاكمة سقراط، منهم الذين اكتفوا بقوت يومهم من أجل لقمة العيش ومنهم المعدومين وقلة من الطبقة المرفهة. حقا لم يكن سقراط يقصد أبداً حشد جمهور كبير للاستماع لحواراته ومناقشاته، لكن أما وقد جاءت الفرصة أمامه، فقد اختار توظيف محاكمته في محاولة نهائية من جانبه في تثقيف مواطنيه[٤١].

لقد هاجم الشعب الأثيني سقراط في مسألتين: الأولى تخص الحكمة التي كان سقراط يدعو إليها، والثانية تخص منهجه في التهكم. بالنسبة للمسألة الأولى فقد اشتهر سقراط بأنه حكيم يهتم بأمور المعرفة، ونتج عن هذه الصفة أنه مهما ادعى سقراط الجهل، ومهما ادعى أنه يقتصر على سؤال من يتحدث معهم ليفحصهم ، فإن الجمهور مقتنع أنه يعلم، وأنه يعرف طبيعة المسائل التي يتناقش حولها وهو ما ينكره سقراط. أما المسألة الثانية وهي التهكم، فقد أطاح الشعب بسقراط لاعتقادهم بأن سقراط بتصيده المواطنين وسؤالهم واحراجهم جعلهم أضحوكة الشباب الذي يجري وراءه حيثما ذهب. إنما يتهكم عليهم جميعا، ومن هنا صاح الشعب على سقراط حينما أنكر أنه حكيم، وكذلك عندما أخذ يتناقش مع مليتوس

---

[39] - Josiah Ober : "Gadfly on Trial :Socrates as Citizen and Social Critic" , Republished with Permission in C.Black Well,ed., Demos: Classical Athenian Democracy, Ober, 2003, p 9.

[٤٠] - أفلاطون، محاورة الدفاع، فقرة (١٨د) ، ص ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٢.

[41] - Josiah Ober :" Gadfly on Trial :Socrates as Citizen and Social Critic ",Op.,Cit., p1,17.

على طريقته المعهودة، أي على طريقة الأسئلة والأجوبة، وكان يُحرج بها المتحدثين معه[٤٢] .

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

١- أفلاطون: محاكمة سقراط (محاورات أوطيفرون، الدفاع، أقريطون)، ترجمة: عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، القاهرة، ٢٠٠١م.

٢- بوذا: الإنجيل، ترجمة: عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٣٥م.

ثانيًا: المراجع العربية

٣- **محمود السيد مراد : " الإرهاب الديني والفكري لمدينة أثينا في القرن الخامس ق.م "** ، تم نشره ضمن أعمال مشروع التاريخ النقدي للغرب، (٢)، أصدره المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠٢٠م.

١- عبد العزيز محمد الزكي: قصة بوذا، دار المطبوعات الحديثة، الإسكندرية،١٩٥٩م،

٢- عزت قرني : الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، مكتبة نرجس، الكويت، ١٩٩٣م .

ثانيا: المراجع العربية المترجمة إلى اللغة العربية

١- - داميان كيون: البوذية: مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة: صفية مختار، مراجعة: هاني فتحي سليمان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط ١، القاهرة، ٢٠١٦ م

٢- جون مورال، تماراصن : " أشهر ٥٠ خرافة عن الأديان " ، ترجمة : فايقة جرجس حنا ، مراجعة : جلال الدين عز الدين علي ، مؤسسة هنداوي سي آى سي ، المملكة المتحدة، ٢٠١٧ م .

٣- ديف روبنسون ، وجودي جروفز : " أقدم لك أفلاطون " ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

٤- سو هاميلتون : الفلسفة الهندية، مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة: صفية مختار، مراجعة: هبة عبد العزيز غانم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠١٦م.

٥- غوستاف لوبون : حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

٦- وولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية : ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ م.

[٤٢] - أفلاطون، محاورة الدفاع ، فقرة (٢٠ د ، ه) ، (٢٧ ب ، ٣٨ أ) ، ص ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٣٢.

رابعا: المراجع الإنجليزية:

1- Chatsumarn Kabilsingph. D: "Women In Buddhism (Questions and Answers)" , Buddha Dharma Education Association Inc., Chicago, U.S.A, 1998.

2- Debra Nails: "The Trial and Death of Socrates", A companion to Socrates, Edited by: Sara Ahbel -Rappe & R. Kamtekar, Black Well Publishing Ltd, Oxford, 2006.

3- Diogenes Laertius: Lives of Eminent Philosophers, trans by: R.D. Hicks, Cambridge university press, 1972.

4- Gregory A . Mcbrayer : " Corrupting The Youth : Xenophon and Plato On Socrates and Alcibiades " , published by Press University , 2018

5- Josiah Ober : "Gadfly on Trial :Socrates as Citizen and Social Critic" , Republished with Permission in C.Black Well,ed., Demos: Classical Athenian Democracy, Ober, 2003

6- ----------: Socrates and Democratic", Cambridge Collections on line, Cambridge University Press, 2011.

7- Paul Woodruff : "Socrates Among The Sophists", A Companion to Socrates , Edited by :Sara Ahbel – Rappe and Rachana Kamtekar , Black Well Publishing Ltd , Oxford , 2006.

8- Robin Waterfield : " Xenophon On Socrates, Trial" , Xenophon : Ethical Principles and Historical Enquiry , Edited by: Christopher Tuplin, Leiden , Boston, 2012

9- Xenophon: Memorabilia, Translated and Annotated by: Amyl. Bonnette, With an Introduction by: Christopher Bruell, Cornell University Press, Ithaca and London, 2001.